



يخبرنا التاريخ عن إنسان منطقتنا الكثير، يخبرنا كيف مرّت حضارات عديدة عليه.. علّمته.. درّبته، جعلته خيراً في اختراع العيش ومبيناً في اجتراح الجديد.

من هناك خرج علماء، شعراء، أنبياء، رسل، حتى أباطرة حكموا بقاعاً من العالم.. يخبرنا عن جاليات سورية منتشرة في أربع أنحاء الأرض، منها من عمر بلدانناً ومنها من خيرة الكوادر وأفضها سمعة. يُحكي أن في فيينا وحدها عدة آلاف من الأطباء السوريين وغيرها وغيرها.. وهما اليوم بعد أن ابتلي بماكينة إجرام رعناء من حكم عسكري ديكاتوري مافيوسي يجعل من عائلة وضيعة على أعلى هرم في البلاد تذل وتستعبد شعباً وتهينه في أعمق أعمقه، ينتصر لذاته ولإنسانيته التي استبيحت في دوامة حقد مجنونة لا نعرف أي ضابط في عُرف البشرية قط.

في هذا المخاض الدموي، وحدها دماء الشهداء المقدسة، وأرواحهم الشفافة التي ستظل تهيم في فضاءات سورية، حتى تراقب عن كثب كيف تتحقق مشيئة الثورة التي فقدوا حياتهم من أجلها، وتركوا خلفهم ثكالي؛ أرامل يتامى ومفجوعين. وحدها سنوات عمر المعتقلين المسفوكة على منبج الحرية، وأوجاع المفقودين والمهجرين عن بيوتهم، وأذين الجرحى.. من يحدد السمة العريض لهذا الإنسان السوري في طريقه نحو حريته المنشودة؟

أقول ذلك لأنه من أول بدء الثورة ولم يمر يوم إلا وسمعنا فيه عن تشكيلات وتكلات ومجالس وهيئات وتنسيقيات وجمعيات... وكلها دون استثناء لها نفس الهدف وتسعي لنفس الغرض وترى أن تدعم وتساعد وتشارك وتساهم..

لماذا لا يعرف السوريون كيف يعملون مع بعضهم، مع أنهم بدون استثناء تقريباً يتميزون بحس وطني رفيع المستوى؟

لماذا لا يتقنون العمل المؤسساتي رغم كل هذه الطاقة الإنسانية؟

لماذا لديهم هذه العقدة من الزعامة رغم يقينهم أنها مجرد وهم؟

وحده ذلك السمة العريض الذي ذكرته من يجبرهم على تذويب بعض الفردية غير المفيدة، وفي بعض الأحيان النرجسية والأنا المتضخمة.

وحده هذا السمة من يجبرهم على التمرن الشاق والتدريب على أن يفخر أن هذا العمل أو ذاك "نحن" أجزناه وليس "أنا" أجزته.

وإلا فإن بحيرة الدم المقدسة التي أجبرت عليها هذه الثورة النبيلة ستحمل في أعماقها آلاماً إضافية بعد أن أثقل عليها أهل

الشرق والغرب أجمعين.

المصادر: